# قرآن كريم

# همسات قرآنية

محمد رمضان الجبور

2023

## الإهداء

**إلى أحفادي.....**

**أرجو أن يكون منهم من يُحب العلم ويسعى في طلبه**

**محمد رمضان الجبور**

**الزرقاء/2023**

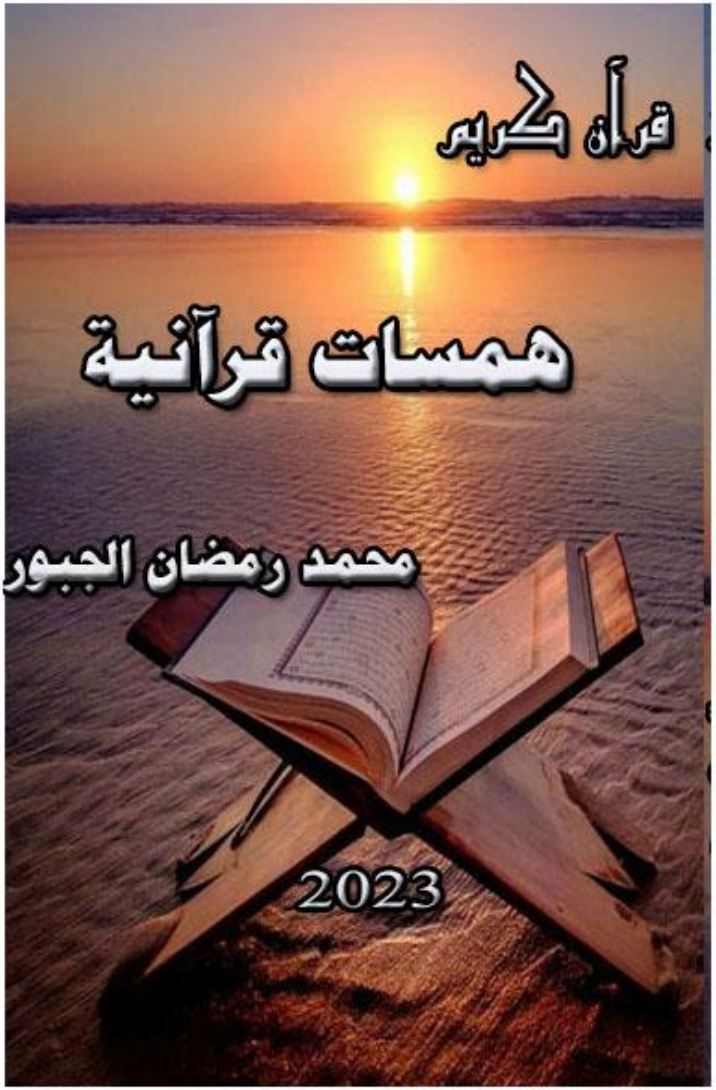
قرآن كريم
همسات قرآنية
محمد رمضان الجبور
2023

## القرآن الكريم

**يكفي أن نقول أن القرآن الكريم كلام الله ولا يعلو على كلام الله كلام ، مهما كتب الناس وإلى قيام الساعة ، سوف يظل هذا القرآن فوق كل كلام ، ولن يستطيع أحد أن يأتي بآية من مثله " قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" (88) الإسراء .**

**وقد أردنا في هذا الكتاب أن نقف على بعض المفردات التي قد تصعب على البعض وتحتاج الرجوع إلى التفاسير ، فقد اعتمدنا على مجموعة من التفاسير المشهورة التي قد تُوضح معنى مثل هذه المفردات ، مثل تفسير القرطبي ، وابن كثير ، والوسيط ، والطبري والبغوي .....، وأحياناً كان لا بد من الوقوف على بعض الآيات حتى يكتمل المعنى والمقصد ،**

**وحاولنا قدر المستطاع عدم الإطالة وعدم الخوض في الأسانيد الكثيرة ووجوه الإعراب المختلفة ، واشرنا في الهامش للمصدر والمرجع الذي اعتمدنا عليه في معرفة معاني المفردات والآيات ، ولم نجتهد في تفسير معنى كلمة أو آية ، بل هو اجتهاد في النقل لتسهيل الأمور على القارئ لمعرفة اليسير عن هذه المفردات والآيات ، وأرجو أن أكون قد وفقت في اختيار المفردات التي قد تصعب على البعض أثناء قراءة القرآن ، وأرجو أن يكون عملي هذا لوجه الله تعالى .**

**محمد رمضان الجبور**

**الزرقاء /2023**

# بسم الله الرحمن الرحيم

## وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (يوسف –45)

في سورة (يوسف)عليه السلام وفي قصته مع مَن نجا منهما في السجن ، طلب منه سيدنا يوسف عليه السلام أن يذكره عند ربه "وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ" (يوسف –42) فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ....هذا عمل الشيطان أن يمنعنا عن عمل الخير ، أن يبعدنا عن طريق الخير .

وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ: وتذكر بعد حين طويل من الزمان كيف فسر له يوسف رؤياه تفسيرا صادقا أيام أن كان معه في السجن.

وأصل «ادكر» اذتكر بوزن افتعل، مأخوذ من الذكر– بتشديد الذال وضمها– قلبت تاء الافتعال دالا لثقلها

ولتقارب مخرجيهما، ثم قلبت الذال دالا ليتأتى إدغامها في الدال، لأنها أخف من الذال.

والأمة: الجماعة التي تؤم وتقصد لأمر ما، والمراد بها هنا: المدة المتطاولة من الزمان وكان هذا الساقي قد نسى ما أوصاه به يوسف من قوله «اذكرني عند ربك» فلما قال الملك ما قاله بشأن رؤياه، تذكر هذا الساقي حال يوسف.

قالوا: وكان ذلك بعد سنتين من خروجه من السجن.

فعلينا في هذا الشهر الكريم خاصة وفي باقي الشهور عامة أن نتذكر ، ولا نجعل الشيطان ينسينا ما خُلقنا لأجله ، وأن نبادر إلى عمل الخير ودفع الشر .

ولا نكن كالساقي الذي لم يتذكر سيدنا يوسف ( عليه السلام ) وما طلب منه من تذكير الملك عندما كانوا في مكانٍ واحد يأكلون ويشربون وينامون في نفس المكان لسنوات عدة ، وعندما خرج من السجن ، وتحسنت أحواله بأن صار ساقي الملك نسي وأنساه

الشيطان ولم يتذكر إلا بعد أن احتاج سيدنا يوسف عليه السلام ليفسر له الرؤيا ، فعلينا إلا ننتظر حتى تأتي الأحداث لتذكرنا ، بل

علينا أن نبادر لعمل كل ما هو خير لأنفسنا " " يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم "[الشعراء : 88_ 89] تقبل الله طاعاتكم .

## الْوَسِيلَةَ

قال تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (المائدة –35)

وجاءت أيضاً في سورة الإسراء قوله تعالى :

" "أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا "(الإسراء – 57 )"

والْوَسِيلَةَ على وزن فعيلة بمعنى ما يتوصل به ويتقرب به إلى الله–تبارك وتعالى–، من فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، مأخوذة من وسلَ إلى كذا، أي. تقرب إليه بشيء. وقيل: الوسيلة الحاجة.

والواسل: الراغب إلى الله– تعالى ...

وقد جاء لفظ الوسيلة في الأحاديث النبوية على أنه اسم لأعلى الدرجات في الجنة، وهذا المعنى متلاق مع أصل المعنى، وهو

التقرب إلى الله والتوسل إليه وحده بالطاعات، لأن من يفعل ذلك ينال من الله–تبارك وتعالى– أسمى الدرجات. وقد ساق الإمام ابن كثير جملة من الأحاديث في هذا المعنى فقال ما ملخصه: والوسيلة: القربة.

والوسيلة أيضا: علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش.

وقد ثبت في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال حين سمع النداء– أي الأذان–: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة.

آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة» .

وقول جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هو القربة إلى الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه على وفق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بإخلاص في ذلك لله تعالى، لأن

هذا وحده هو الطريق الموصلة إلى رضا الله تعالى، ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة.

اللهم اجعلنا ممن نال شفاعة رسولك الكريم واجعلنا من أصحاب الجنة والنعيم واحشرنا مع الأنبياء والشهداء والمرسلين .اللهم أمين .

## إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا

"إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا" (النساء – 117)

الدعاء هنا بمعنى العبادة ، قوله تعالى : ( إن يدعون من دونه إلا إناثا ) نزلت في أهل مكة ، أي : ما يعبدون ، كقوله تعالى : في سورة غافر " وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (غافر –60) " وقال ربكم ادعوني أي : اعبدوني ، بدليل قوله تعالى : " إن الذين يستكبرون عن عبادتي ، قوله : ( من دونه ) أي : من دون الله ، ( إلا إناثا ) أراد بالإناث الأوثان لأنهم كانوا يسمونها باسم الإناث ، فيقولون : اللات والعزى ومناة ، وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة : أنثى بني فلان فكان في كل واحدة منهن شيطان يتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم ، ولذلك قال : ( وإن يدعون إلا شيطانا ) هذا قول أكثر المفسرين .

( إن يدعون من دونه إلا إناثا ) قال المشركون : إن الملائكة بنات الله ، وإنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى فاتخذوها أربابا وصوروهن صور الجواري ، فحكموا وقلدوا ، وقالوا : هؤلاء يشبهن بنات الله الذي نعبده ، يعنون الملائكة .

وهذا التفسير شبيه بقوله تعالى : ( أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى . إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) ( النجم : 19 – 23 ) ، وقال تعالى : ( وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ( أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون )( الزخرف : 19 )

( وإن يدعون إلا شيطانا مريدا ) أي : وما يعبدون إلا شيطانا مريدا لأنهم إذا عبدوا الأصنام فقد أطاعوا الشيطان ، والمريد : المارد ، وهو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة ، وأراد : إبليس.

## حُوبًا كَبِيرًا

كثيرة هي الآيات التي تحدثت عن اليتيم واليتامى وأموالهم وحفظها ، وعدم الاقتراب منها إلا بالتي هي أحسن قال تعالى: " وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ" ( الأنعام –6)

وتكررت هذه الآية بألفاظها ومعانيها في سورة الأسراء

قال تعالى: " وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ" ( الأسراء –34)

اهتم ديننا الحنيف باليتيم ، ووضح وشرح لنا الله سبحانه وتعالى في القرآن وفي مواضع متعددة وسور كثيرة كيف نتعامل مع مال اليتيم ، وما جزاء وعقوبة من تلاعب في مال اليتيم ، فجعل الاقتراب بالسوء من مال اليتيم من الكبائر ، وأمر بإعطاء اليتامى أموالهم دون المساس بها ، إلا اذا كان الأمر من أجل اليتيم وفي صالحه ووصف الله ذلك بأنه كان حوباً كبيرا فقال

تعالى :" "وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا" (النساء–2)

وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ = بمعنى أعطوا.

وَالْحُوبُ: الْإِثْمُ، يُقَالُ: حَابَ الرَّجُلُ، يَحُوبُ، حُوبًا: إِذَا أَثِمَ، وَأَصْلُهُ: الزَّجْرُ لِلْإِبِلِ، فَسُمِّيَ الْإِثْمُ: حُوبًا، لِأَنَّهُ يُزْجَرُ عَنْهُ. وَالْحَوْبَةُ: الْحَاجَةُ. وَالْحُوبُ أَيْضًا: الْوَحْشَةُ. والحوب الإثم الكبير . قال عليه الصلاة والسلام : " إن طلاق أم أيوب لحوب " ومعناه الإثم قال عليه الصلاة والسلام : " رب تقبل توبتي واغسل حوبتي ". قال القفال : وكأن أصل الكلمة من التحوب وهو التوجع ، فالحوب هو ارتكاب ما يتوجع المرتكب منه .

إنها رحمة الله عز وجل فقد أوصنا باليتامى ، فاليتيم محل الرحمة ، وليس له من يرعاه ويعطف عليه ، وقد يكون يتيم الأب والأم ، لذا أوصنا بالعناية به وبماله ، والآيات والاحاديث التي تناولت هذا الموضوع كثيرة جدا لامجال لذكرها الآن .

فعلينا أن نكون في هذا الشهر الكريم وفي غيره من الشهور عوناً لهؤلاء الذين يستحقون العناية والرعاية .

## الْوَسِيلَةَ

قال تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (المائدة –35)

وجاءت أيضاً في سورة الإسراء قوله تعالى :

" "أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا "(الإسراء – 57 )"

والْوَسِيلَةَ على وزن فعيلة بمعنى ما يتوصل به ويتقرب به إلى الله–تبارك وتعالى–، من فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، مأخوذة من وسلَ إلى كذا، أي. تقرب إليه بشيء. وقيل: الوسيلة الحاجة.

والواسل: الراغب إلى الله– تعالى ...

وقد جاء لفظ الوسيلة في الأحاديث النبوية على أنه اسم لأعلى الدرجات في الجنة، وهذا المعنى متلاق مع أصل المعنى، وهو

التقرب إلى الله والتوسل إليه وحده بالطاعات، لأن من يفعل ذلك ينال من الله–تبارك وتعالى– أسمى الدرجات. وقد ساق الإمام ابن كثير جملة من الأحاديث في هذا المعنى فقال ما ملخصه: والوسيلة: القربة.

والوسيلة أيضا: علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش.

وقد ثبت في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال حين سمع النداء– أي الأذان–: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة.

آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة» .

وقول جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هو القربة إلى الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه على وفق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بإخلاص في ذلك لله تعالى، لأن

هذا وحده هو الطريق الموصلة إلى رضا الله تعالى، ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة.

اللهم اجعلنا ممن نال شفاعة رسولك الكريم واجعلنا من أصحاب الجنة والنعيم واحشرنا مع الأنبياء والشهداء والمرسلين .اللهم أمين .

## السُّحت

السُّحت مفردة قرآنية جاءت فقط في سورة المائدة في ثلاثة مواضع :

قال تعالى : ""سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا" ( المائدة – 42)

وأيضاً في نفس السورة ، قال تعالى " "وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" ( المائدة – 62)

وفي الآية رقم 63 من نفس السورة ، قال تعالى " "لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" ( المائدة –63)

والسحت: هو كل ما خبث كسبه وقبح مصدره، كالتعامل بالربا وأخذ الرشوة وما إلى ذلك من وجوه الكسب الحرام. وقد بسط

الإمام القرطبي هذا المعنى فقال: والسحت في اللغة أصله الهلاك والشدة.

قال–تبارك وتعالى– فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ أي: – فيهلككم ويستأصلكم بعذاب– ويقال للحالق: أسحت أي استأصل. فالسحت هو أكل الحرام ويطلق على كل أنواع الكسب غير المشروع ويعني الهلاك والبلاء.

والرشوة أحدى وجوه الكسب الحرام وهي شائعة في الكثير من المجتمعات رغم حرمتها ،وأخذها من السحت، ومن أشد الحرام، ومن أخبث المكاسب ، ويقول أ.د. حسين شحاتة إن هناك نماذج حديثه لـ"السحت" أو الرشوة يجب تجنبها، وتقوم على "تجميل" كلمة الرشوة عبر تسميات مختلفة مثل "الهدايا" و"الإكراميات" و"العمولة" و"مقابل الاستشارة" و"العمل بأجر" لدى الراشي، وغير ذلك من الحيل. فعلينا أن ننتبه حتى لا نقع في حبائل الشيطان وفي الحرام ، فعمل الشيطان أن يُزيّن لنا الحرام .

وفي تفسير ابن عثيمين: السحت كل مال محرم، يعني كل مال يكتسبه الإنسان بالمحرم فهو سحت، وسمي سحتًا؛ لأنه لا بركة فيه فهو مسحوت البركة، وهو أيضًا يَسْحَتُ المال الآخر، فالسحت إذن وصف في نفسه ووصف في غيره.

أما كونه وصفًا لنفسه فلأنه هو نفسه لا بركة فيه، «كما جاء في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه فيمن كسب مالًا محرمًا: أنه إن أنفقه لم يبارك له فيه، وإن تصدق به لم يقبل منه، وإن خلَّفه كان زاده إلى النار»

## نَزَغَ /يَنْزَغَنَّكَ

قال تعالى :" وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (الأعراف –200)

نَزَغَ ومشتقاتها تكرر ظهورها في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم ، فبالإضافة للآية السابقة من سورة الأعراف ، فقد وردت في سورة (يوسف) عليه السلام :" مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (يوسف –100)

وفي سورة الإسراء *" وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا" (الأسراء –53)

وفي سورة (فصلت ) *"وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (فصلت –36)

ومعنى { ينزغنك} : يصيبنك ويعرض لك عند الغضب وسوسة بما لا يحل. { فاستعذ بالله} أي اطلب النجاة من ذلك بالله. فأمر

تعالى أن يدفع الوسوسة بالالتجاء إليه والاستعاذة به؛ ولله المثل الأعلى. فلا يستعاذ من الكلاب إلا برب الكلاب. وقد حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ قال : أجاهده. قال : فإن عاد؟ قال : أجاهده. قال : فإن عاد؟ قال : أجاهده. قال : هذا يطول، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع؟ قال : أكابده وأرده جهدي. قال : هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك. الثانية: النغز والنزغ والهمز والوسوسة سواء؛ قال الله قال الله تعالى { وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين} [المؤمنون : 97] وقال { من شر الوسواس الخناس} [الناس : 4]. وأصل النزغ الفساد؛ يقال : نزغ بيننا؛ أي أفسد. ومنه قوله: { نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي} [يوسف : 100] أي أفسد. وقيل : النزغ الإغواء والإغراء؛ والمعنى متقارب .

## مُكَاءً وَتَصْدِيَةً

" وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ" (الأنفال –35)

الْمُكَاءُ: الصَّفِيرُ مِنْ مَكَا يَمْكُو مُكَاءً، وَمِنْهُ قَوْلُ عَنْتَرَةَ:

وحليل غانية تركت مجدّلا ... تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ

الْمُكَاءُ: هُوَ الصَّفِيرُ عَلَى لَحْنِ طَائِرٍ أَبْيَضَ بِالْحِجَازِ يُقَالُ لَهُ الْمُكَّاءُ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا غَرَّدَ الْمُكَّاءُ فِي غَيْرِ دَوْحَةٍ ... فَوَيْلٌ لِأَهْلِ الشَّاءِ وَالْحُمُرَاتِ

وَالتَّصْدِيَةُ: التَّصْفِيقُ، يُقَالُ: صَدَّى يُصَدِّي تصدية: إذا صفق، ومنه قول عمرو بْنُ الْإِطْنَابَةِ:

وَظَلُّوا جَمِيعًا لَهُمْ ضَجَّةٌ ... مُكَاءٌ لَدَى الْبَيْتِ بِالتَّصْدِيَةِ

أَيْ: بِالتَّصْفِيقِ وَقِيلَ الْمُكَاءُ: الضَّرْبُ بِالْأَيْدِي، وَالتَّصْدِيَةُ: الصِّيَاحُ وَقِيلَ الْمُكَاءُ: إِدْخَالُهُمْ أَصَابِعَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَالتَّصْدِيَةُ: الصَّفِيرُ وَقِيلَ التَّصْدِيَةُ: صَدُّهُمْ عَنِ الْبَيْتِ قِيلَ: وَالْأَصْلُ عَلَى هَذَا تَصْدِدَةٌ فَأُبْدِلُ مِنْ إِحْدَى الدَّالَيْنِ يَاءٌ. وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُصَفِّرُونَ وَيُصَفِّقُونَ عِنْدَ الْبَيْتِ، الَّذِي هُوَ مَوْضِعٌ لِلصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ، فَوَضَعُوا ذَلِكَ مَوْضِعَ الصَّلَاةِ، قَاصِدِينَ بِهِ أَنْ يَشْغَلُوا الْمُصَلِّينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الصَّلَاةِ، وَقُرِئَ بِنَصْبِ صَلَاتَهُمْ عَلَى أَنَّهَا خَبَرُ كَانَ، وَمَا بَعْدَهُ اسْمُهَا. قَوْلُهُ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ هَذَا الْتِفَاتٌ إِلَى مُخَاطَبَةِ الْكُفَّارِ تَهْدِيدًا لَهُمْ وَمُبَالَغَةً فِي إِدْخَالِ الرَّوْعَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَالْمُرَادُ بِهِ: عَذَابُ الدُّنْيَا كَيَوْمِ بَدْرٍ، وَعَذَابُ الْآخِرَةِ. قَوْلُهُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا فَرَغَ سُبْحَانَهُ.

إذن المكاء: الصفير. يقال مكا يمكو مكوا ومكاء إذا صفر.

والتصدية: التصفيق. يقال: صدى يصدى تصدية إذا صفق.

قال قتادة: المكاء: ضرب بالأيدي، والتصدية: الصياح.

والمعنى: أن هؤلاء المشركين لم تكن صلاتهم عند البيت الحرام إلا تصفيقا وتصفيرا، وهرجا ومرجا لا وقار فيه، ولا استشعار لحرمة البيت، ولا خشوع لجلالة الله–تبارك وتعالى–، وذلك لجهلهم بما يجب عليهم نحو خالقهم، ولحرصهم على أن يسيئوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن، أو وهو يطوف بالبيت، أو وهو يؤدى شيئا من شعائر الإسلام وعباداته.

## لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً

"كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً " (سورة التوبة –8)

"لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ "(التوبة – 10)

(الإل) هذه المفردة القرآنية لا توجد إلا في سورة التوبة فقط فما المقصود وما المعنى لـ(إلّ) ؟

قال ابن جرير– بعد أن ساق أقوالا في معنى الإل– وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: والإل: اسم يشتمل على معان ثلاثة: وهي العهد والعقد، والحلف، والقرابة.. ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى القرابة قول ابن مقبل :

أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا قَطَعُوا الإِلَّ وَأَعْرَاقَ الرَّحِمْ

أي قطعوا القرابة.

و " خلوف " جمع " خلف " ( بفتح فسكون ) ، وهو بقية السوء والأشرار تخلف من سبقها ، و " الأعراق " جمع " عرق " وعرق كل شيء : أصله الذي منه ثبت

وقول حسان بن ثابت:

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعامِ

من أبيات هجا بها حسان أبا سفيان ، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ، وأخوه من الرضاعة ،قبل أن يدخل الإسلام، وكان أبو سفيان ممن يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلم في فتح مكة.

" السقب " ، ولد الناقة ساعة يولد . و " الرأل " ، ولد النعام . يقول : ما قرابتك في قريش ، إلا كقرابة الفصيل ، من ولد النعام . !

وأما معناه إذا كان بمعنى " العهد "، فقول القائل:

وَجَدْنَاهُمُ كَاذِبًا إِلُّهُمْ وَذُو الإِلِّ وَالْعَهْدِ لا يَكْذِبُ

وإذا كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يعم ذلك كما عم بها– جل ثناؤه – معانيها الثلاثة ...

والذمة: كل أمر لزمك بحيث إذا ضيعته لزمك مذمة أو هي ما يتذمم به أي يجتنب فيه الذم.

والمعنى: بأية صفة أو بأية كيفية يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله، والحال المعهود منهم أنهم إن يظفروا بكم ويغلبوكم، لا يراعوا في أمركم لا عهدا ولا حلفا ولا قرابة ولا حقا من الحقوق.

## وَلِيجَةً

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" (التوبة – 16)

وَلِيجَةً : مفردة قرآنية لم تتكرر، بل وردت مرة واحدة فقط في سورة التوبة فما معنى وليجة ؟

وليجة بطانة ومداخلة من الولوج وهو الدخول

ولج يلج ولوجا إذا دخل والمعنى : دخيلة مودة من دون الله ورسوله وقال أبو عبيدة : كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة ، والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة ، وقال ابن زيد : الوليجة الدخيلة والولجاء الدخلاء ، فوليجة الرجل من يختص بدخلة أمره دون الناس .

تقول : هو وليجتي وهم وليجتي الواحد والجمع فيه سواء

وفي الآية السابقة الوليجة البطانة من المشركين. نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء، يفشون إليهم أسرارهم =(والله خبير بما تعملون)، يقول: والله ذو خبرة بما تعملون، من اتخاذكم من دون الله ودون رسوله والمؤمنين به أولياءَ وبطانةً، بعد ما قد نهاكم عنه، لا يخفى ذلك عليه، ولا غيره من أعمالكم، والله مجازيكم على ذلك، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا.

فوليجة الرجل من يختصه بدخلة منها دون الناس يقال: هو وليجتي وهم وليجتي للواحد وللجميع. وأنشد أبان بن تغلب:

فبئس الوليجة للهاربين ... والمعتدين وأهل الريب

وقال سائر المفسرين: الخطاب للمؤمنين حين شقّ على بعضهم القتال وكرهوه فأنزل الله تعالى أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا ولا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب، والمطيع من العاصي وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ في تقدير الله، والألف صلة جاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً

بطانة وأولياء يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم، وقال قتادة وَلِيجَةً: خيانة وقال الضحّاك: خديعة.

ويُقالُ إنَّ الوَلِيجَةَ بِمَعْنى الدَّخِيلَةِ والبِطانَةِ، وهي مِنَ المُداخَلَةِ والمُخالَطَةِ والمُؤانَسَةِ، فَإنْ كانَ المَعْنى هَذا فَقَدْ دَلَّ عَلى النَّهْيِ عَنْ مُخالَطَةِ غَيْرِ المُؤْمِنِينَ ومُداخَلَتِهِمْ وتَرْكِ الِاسْتِعانَةِ بِهِمْ في أُمُورِ الدِّينِ كَما قالَ: ﴿لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِن دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]

## النَّسِيءُ

" إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ" (التوبة –37)

والنسيء: مصدر بزنة فعيل مأخوذ من نسأ الشيء إذا أخره.

ومنه نسأت الإبل عن الحوض إذا أخرتها عنه.

ومنه: أنسأ الله في أجل فلان، أي: أخره والمراد به: تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر.

وقد أشار صاحب الكشاف إلى الأسباب التي جعلت المشركين يحلون الأشهر الحرم فقال: «كانوا أصحاب حروب وغارات، فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة، فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر– وكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها– حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شتى شهور العام أربعة أشهر، وذلك قوله لِيُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ أي ليوافقوا

العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين.

وذلك أن العرب كانت تحرم القتال في الأشهر الحرم المذكورة، فإذا احتاجوا إلى القتال فيها قاتلوا فيها وحرموا غيرها، فإذا قاتلوا في المحرم حرموا بدله شهر صفر وهكذا في غيره، وكان الذي يحملهم على هذا أن كثيراً منهم إنما كانوا يعيشون بإغارة بعضهم على البعض، ونهب ما يمكنهم نهبه من أموال من يغيرون عليه، ويقع بينهم بسبب ذلك القتال، وكانت الأشهر الثلاثة المسرودة يضربهم تواليها وتشتد حاجاتهم وتعظم فاقتهم، فيحلون بعضها ويحرمون مكانه بقدره من غير الأشهر الحرم. فهذا هو معنى النسيء الذي كانوا يفعلونه.

وكان الذي يلي النسي يظفر بالرئاسة لِتَرَيُّسِ الْعَرَبِ إِيَّاهُ.

وقَدْ وقَعَ الخِلافُ في أوَّلِ مَن فَعَلَ ذَلِكَ فَقِيلَ: هو رَجُلٌ مِن بَنِيَ كِنانَةَ يُقالُ لَهُ حُذَيْفَةُ بْنُ عَتِيدٍ، ويُلَقَّبُ القَلَمَّسَ، وعَنِ الضَّحّاكِ أنَّهُ جُنادَةُ بْنُ عَوْفٍ الكِنانِيُّ وكانَ مُطاعًا في الجاهِلِيَّةِ وكانَ يَقُومُ

عَلى جَمَلٍ في المَوْسِمِ فَيُنادِي بِأعْلى صَوْتِهِ إنَّ آلِهَتَكم قَدْ أحَلَّتْ لَكُمُ المُحَرَّمَ فَأَحَلُّوهُ، ثُمَّ يَقُومُ في العامِ القابِلِ فَيَقُولُ: إنَّ آلِهَتَكم قَدْ حَرَّمَتْ عَلَيْكُمُ المُحَرَّمَ فَحَرِّمُوهُ

وأنْشَدَ شاعِرُهم:

ومِنّا ناسِئُ الشَّهْرِ القَلَمَّسُ

وقالَ الكُمَيْتُ:

ونَحْنُ النّاسِئُونَ عَلى مَعَدٍّ. شُهُورُ الحِلِّ نَجْعَلُها حَرامًا

## السَّائِحُونَ

قال تعالى :" التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" (التوبة –112 )

هذه صفات المؤمنين الذين لهم البشارة بدخول الجنة: أنهم التائبون الراجعون عما كرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه، الذين أخلصوا العبادة لله وحده وجَدُّوا في طاعته، الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير أو شر ، الراكعون في صلاتهم، الساجدون فيها، الذين يأمرون الناس بكل ما أمر الله ورسوله به، وينهونهم عن كل ما نهى الله عنه ورسوله، المؤدون فرائض الله المنتهون إلى أمره ونهيه، القائمون على طاعته، الواقفون عند حدوده.

ولكن من هم السائحون ؟

﴿السّائِحُونَ﴾ أيِ الصّائِمُونَ فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعالى عَنْهم أنَّ النَّبِيَّ صَلّى اللَّهُ

تَعالى عَلَيْهِ وسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَأجابَ بِما ذُكِرَ. وإلَيْهِ ذَهَبَ جُلَّةٌ مِنَ الصَّحابَةِ والتّابِعِينَ

وجاءَ عَنْ عائِشَةَ: «سِياحَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ الصِّيامُ» وهو مِن بابِ الِاسْتِعارَةِ لِأنَّ الصَّوْمَ يَعُوقُ عَنِ الشَّهَواتِ كَما أنَّ السِّياحَةَ تَمْنَعُ مِنها في الأكْثَرِ .

﴿السّائِحُونَ﴾ قِيلَ: هُمُ الصّائِمُونَ، وإلَيْهِ ذَهَبَ جُمْهُورُ المُفَسِّرِينَ، ومِنهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿عابِداتٍ سائِحاتٍ﴾ [التحريم: ٥] وإنَّما قِيلَ: لِلصّائِمِ سائِحٌ، لِأنَّهُ يَتْرُكُ اللَّذّاتِ كَما يَتْرُكُها السّائِحُ في الأرْضِ، ومِنهُ قَوْلُ أبِي طالِبِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ:

وبِالسّائِحِينَ لا يَذُوقُونَ فِطْرَةً □□□ لِرَبِّهِمُ والرّاكِداتُ العَوامِلُ

وقالَ آخَرُ:

تَراهُ يُصَلِّي لَيْلَهُ ونَهارَهُ □□□ يَظَلُّ كَثِيرَ الذِّكْرِ لِلَّهِ سائِحا

قالَ الزَّجّاجُ: ومَذْهَبُ الحَسَنِ أنَّ السّائِحِينَ هاهُنا هُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ الفَرْضَ، وقِيلَ: إنَّهُمُ الَّذِينَ يُدِيمُونَ الصِّيامَ. وقالَ عَطاءٌ: السّائِحُونَ: المُجاهِدُونَ.

وقالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أسْلَمَ: السّائِحُونَ: المُهاجِرُونَ.

وقالَ عِكْرِمَةُ: هُمُ الَّذِينَ يُسافِرُونَ لِطَلَبِ الحَدِيثِ والعِلْمِ.

وقِيلَ: هُمُ الجائِلُونَ بِأفْكارِهِمْ في تَوْحِيدِ رَبِّهِمْ ومَلَكُوتِهِ وما خَلَقَ مِنَ العِبَرِ.

والسِّياحَةُ في اللُّغَةِ: أصْلُها الذَّهابُ عَلى وجْهِ الأرْضِ كَما يَسِيحُ الماءُ، وهي مِمّا يُعِينُ العَبْدَ عَلى الطّاعَةِ لِانْقِطاعِهِ عَنِ الخَلْقِ، ولِما يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الِاعْتِبارِ بِالتَّفَكُّرِ في مَخْلُوقاتِ اللَّهِ سُبْحانَهُ.

## ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ

"وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ" (3) النساء

تعولوا : ذلك أدنى ألا تعولوا أي ذلك أقرب إلى ألا تميلوا عن الحق وتجوروا ؛ مِن عالَ الرَّجُلُ يَعُولُ: إذا مالَ وجارَ، ومِنهُ قَوْلُهم: عالَ السَّهْمُ عَنِ الهَدَفِ، مالَ عَنْهُ، وعالَ المِيزانُ إذا مالَ، ومِنهُ: قالُوا اتَّبَعْنا رَسُولَ اللَّهِ واطَّرَحُوا قَوْلَ الرَّسُولِ وعالُوا في المَوازِينِ. ومِنهُ قَوْلُ أبِي طالِبٍ:

بِمِيزانِ صِدْقٍ لا يَغُلُّ شَعِيرَةً *** لَهُ شاهِدٌ مِن نَفْسِهِ غَيْرُ عائِلِ

ومِنهُ أيْضًا:

فَنَحْنُ ثَلاثَةٌ وثَلاثُ ذَوْدٍ *** لَقَدْ عالَ الزَّمانُ عَلى عِيالِ

فالحديث عن العدل بين الزوجات ، والمَعْنى: إنْ خِفْتُمْ عَدَمَ العَدْلِ بَيْنَ الزَّوْجاتِ، فَهَذِهِ الَّتِي أُمِرْتُمْ بِها أقْرَبُ إلى عَدَمِ الجَوْرِ،

ويُقالُ: عالَ الرَّجُلُ يَعِيلُ: إذا افْتَقَرَ وصارَ عالَةً، ومِنهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وإنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [التوبة: ٢٨]، ومِنهُ قَوْلُ الشّاعِرِ:

وما يَدْرِي الفَقِيرُ مَتى غِناهُ *** وما يَدْرِي الغَنِيُّ مَتى يَعِيلُ

وذَكَرَ ابْنُ العَرَبِيِّ أنَّ عالَ تَأْتِي لِسَبْعَةِ مَعانٍ: الأوَّلُ عالَ: مالَ. الثّانِي: زادَ.

الثّالِثُ: جارَ. الرّابِعُ: افْتَقَرَ. الخامِسُ: أثْقَلَ. السّادِسُ: قامَ بِمَئُونَةِ العِيالِ، ومِنهُ قَوْلُهُ صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: «وابْدَأْ بِمَن تَعُولُ» .السّابِعُ عالَ: غَلَبَ، ومِنهُ عِيلَ صَبْرِي

وقالَ الثَّعْلَبِيُّ: قالَ أُسْتاذُنا أبُو القاسِمِ بْنُ حَبِيبٍ: سَألْتُ أبا عُمَرَ الدُّورِيَّ عَنْ هَذا وكانَ إمامًا في اللُّغَةِ غَيْرَ مُدافَعٍ، فَقالَ: هي لُغَةُ حِمْيَرٍ، وأنْشَدَ:

وإنَّ المَوْتَ يَأْخُذُ كُلَّ حَيٍّ *** بِلا شَكٍّ وإنْ أمَشى وعالا

ورُوِيَ أنَّ أعْرابِيًّا حَكَمَ عَلَيْهِ حاكِمٌ، فَقالَ لَهُ: أتَعُولُ عَلَيَّ، ويُقالُ: عالَتِ الفَرِيضَةُ إذا زادَتْ سِهامُها، وقَدْ أعَلْتُها أنا إذا زِدْتَ في

سِهامِها، ومَعْلُومٌ أنَّها إذا زادَتْ سِهامُها فَقَدْ مالَتْ عَنِ الِاعْتِدالِ فَدَلَّتْ هَذِهِ الِاشْتِقاقاتُ عَلى أنَّ أصْلَ هَذا اللَّفْظِ المَيْلُ، ثُمَّ اخْتُصَّ بِحَسَبِ العُرْفِ بِالمَيْلِ إلى الجَوْرِ والظُّلْمِ. فَهَذا هو الكَلامُ في تَقْرِيرِ هَذا الوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ إلَيْهِ الأكْثَرُونَ.

- هي همسات قرآنية ، نقفُ فيها على بعض المفردات القرآنية شرحاً وتوضيحاً للفائدة والعلم وبالرجوع إلى أمهات التفاسير ، عسى أن يكون فيها الفائدة للبعض .

## فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ

**قال تعالى :** " "إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ"

( الأنعام –95)

تُؤْفَكُونَ من المصدر ومن مادة (أ ف ك) ، وقد وردت هذه المفردة بمشتقاتها المختلفة في أكثر من موضع في القرآن الكريم ، فبالإضافة للآية السابقة من سورة الأنعام فقد جاءت في سورة يونس ، وفاطر ، وغافر ، و المائدة والتوبة والعنكبوت والروم والزخرف والمنافقون .....

الأفك– بفتح الهمزة– مصدر أفكه يأفكه من باب ضرب إذا صرفه عن مكان أو عن عمل، ويقال أفكت الأرض أفكا: أي صرف عنها المطر.

فأنى تؤفكون فمن أين تصرفون عن الحق مع ما ترون من قدرة الله جل وعز .

ويقال : أَفَكَ كذب . وأَفَكَ الناسَ : كذبهم وحدَّثهم بالباطل ، قال : فيكون أَفَكَ وأَفَكْتُه مثل كَذَب وكَذَبْته .

وفي حديث عائشة ، رضوان الله عليها : حين ، قال فيها أَهلُ الإِفْكِ ما ، قالوا ؛ الإِفْكُ في الأَصل الكذب وأَراد به ههنا ما كُذِبَ عليها مما رميت به . والإِفْك : الإِثم . والإِفْكُ : الكذب ، والجمع الأَفَائكُ .

ورجل أَفَّاك وأَفِيك وأَفُوك : كذاب .

﴿إِنَّ الَّذِينَ جاءُوا بِالإِفْكِ﴾ والإِفْكُ أَسْوَأُ الكَذِبِ وأَقْبَحُهُ، وهو مَأْخُوذٌ مَن أَفَكَ الشَّيْءَ إذا قَلَبَهُ عَنْ وجْهِهِ. فالإِفْكُ هو الحَدِيثُ المَقْلُوبُ، وقِيلَ: هو البُهْتانُ وأَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلى أَنَّ المُرادَ بِما في الآيَةِ ما وقَعَ مِنَ الإِفْكِ عَلى عائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، وإنَّما وصَفَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ إفْكٌ؛ لِأَنَّ المَعْرُوفَ مِن حالِها – رَضِيَ اللَّهُ عَنْها – خِلافُ ذَلِكَ

﴿قالُوا أجِئْتَنا لِتَأْفِكَنا عَنْ آلِهَتِنا﴾ أيْ لِتَصْرِفَنا عَنْ عِبادَتِها، وقِيلَ: لِتُزِيلَنا، وقِيلَ: لِتَمْنَعَنا، والمَعْنى مُتَقارِبٌ، ومِنهُ قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ أُذَيْنَةَ:

إنْ تَكُ عَنْ حُسْنِ الصَّنِيعَةِ مَأْفُو كًا فَفي آخَرِينَ قَدْ أُفِكُوا

وفي التنزيل : يُؤْفَكُ عنه مَن أُفِكَ ؛ قال الفراء : يريد يُصْرَفُ عن الإيمان من صُرِف كما ، قال : أَجِئتَنا لتَأْفِكَنَا عن آلهتنا ؛ يقول : لتصرفنا وتصدنا . والأَفَّاك : الذي يَأْفِكُ الناس أَي يصدهم عن الحق بباطله .

والمُؤْتفِكات : مَدائن لوط ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، سميت بذلك لانقلابها بالخَسْف .

قال تعالى : والمُؤْتَفِكةَ أَهْوى ، وقوله تعالى : والمُؤْتفِكات أَتتهم رسلهم بالبينات ؛ قال الزجاج : المؤْتفكات جمع مُؤْتَفِكة ، ائْتَفَكَتْ بهم الأَرض أَي انقلبت .

## إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ

" وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ" (التوبة – 114)

قوله تعالى : ( إن إبراهيم لأواه حليم ) اختلف العلماء في معنى الأواه ، فمن بعض الأقوال أنه كَثِيرُ التَّأَوُّهِ وهو عِنْدُ جَماعَةٍ كِنايَةٌ عَنْ كَمالِ الرَّأْفَةِ ورِقَّةِ القَلْبِ، وأخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وابْنُ أبِي حاتِمٍ وغَيْرُهُما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدّادٍ قالَ: «قالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ، ما الأوّاهُ؟ قالَ: الخاشِعُ المُتَضَرِّعُ الدَّعّاءِ»

وقَدْ صَرَّحَ غَيْرُ واحِدٍ أنَّهُ فَعّالٌ لِلْمُبالَغَةِ مِنَ التَّأَوُّهِ وقِياسُ فِعْلِهِ أنْ يَكُونَ ثُلاثِيًّا لِأنَّ أمْثِلَةَ المُبالَغَةِ إنَّما يَطَّرِدُ أخْذُها مِنهُ وحَكى قُطْرُبٌ لَهُ فِعْلًا ثُلاثِيًّا فَقالَ: يُقالُ آهَ يَؤُوهُ كَقامَ يَقُومُ أوْهًا وأنْكَرَهُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وقالَ: لا يُقالُ إلّا أوَّهَ وتَأوَّهَ

قالَ المُثَقِّبُ العَبْدِيُّ:

إذا ما قُمْتُ أُرَحِّلُها بِلَيْلٍ تَأَوَّهَ آهَةُ الرَّجُلِ الحَزِينِ

وأصْلُ التَّأَوُّهِ قَوْلُهُ آهْ ونَحْوُهُ مِمّا يَقُولُهُ الحَزِينُ وفي الدُّرَّةِ لِلْحَرِيرِيِّ أنَّ الأفْصَحَ أنْ يُقالَ في التَّأَوُّهِ: أوِّهِ بِكَسْرِ الهاءِ وضَمِّها وفَتْحِها والكَسْرُ أغْلَبُ وعَلَيْهِ قَوْلُ الشّاعِرِ:

فَأوِّهِ لِذِكْراها إذا ما ذَكَرْتَها □□□ ومِن بَعْدِ أرْضٍ بَيْنَنا وسَماءِ

﴿إنَّ إبْراهِيمَ لأوّاهٌ حَلِيمٌ﴾ فِيهِ عَشَرَةُ تَأْوِيلاتٍ: أحَدُها: أنَّ الأوّاهَ: الدَّعّاءُ، أيِ الَّذِي يُكْثِرُ الدُّعاءَ، قالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ.

الثّانِي: أنَّهُ الرَّحِيمُ، قالَهُ الحَسَنُ. الثّالِثُ: أنَّهُ المُوقِنُ، قالَهُ عِكْرِمَةُ وعَطاءٌ. الرّابِعُ: أنَّهُ المُؤْمِنُ، بِلُغَةِ الحَبَشَةِ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ. الخامِسُ: أنَّهُ المُسَبِّحُ، قالَهُ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ. السّادِسُ: أنَّهُ الَّذِي يُكْثِرُ تِلاوَةَ القُرْآنِ، وهَذا مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ أيْضًا. السّابِعُ: أنَّهُ المُتَأوِّهُ، قالَهُ أبُو ذَرٍّ. الثّامِنُ: أنَّهُ الفَقِيهُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

التّاسِعُ: أنَّهُ المُتَضَرِّعُ الخاشِعُ، رَواهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدّادِ بْنِ الهادِّ عَنِ النَّبِيِّ . العاشِرُ: أنَّهُ الَّذِي إذا ذَكَرَ خَطاياهُ اسْتَغْفَرَ مِنها، قالَهُ أبُو أيُّوبَ. وَأصْلُ الأوّاهِ مِنَ التَّأوُّهِ وهو التَّوَجُّعُ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الحليم السيد

أي: إن إبراهيم لكثير التأوه والتوجع من خشية الله، وكثير الحلم والصفح عمن آذاه.

## قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ

"وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (7) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (8) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (9) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ" (الذاريات –10)

(الخرص ) من مفردات القرآن الكريم التي وردت في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم بصورٍ واشتقاقات وتصاريف مختلفة ، ففي أكثر من سورة جاءت كفعل مضارع قال تعالى :"إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ "(يونس –66) ، "وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ" ( الأنعام –148)، "وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ " ( الأنعام –116)، "إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ "(الزخرف –20)، فقط في سورة الذاريات جاءت نائب فاعل " قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ" ( الذاريات –10).

وأصل الخرص: الحزر والتقدير للشيء على سبيل الظن لا على سبيل الحقيقة.

قال الراغب: وحقيقة ذلك أن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص، سواء أكان مطابقا للشيء أم مخالفا له، من

حيث إن صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع، بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص في خرصه- أي: كفعل من يخرص الثمر على الشجر- وكل من قال قولا على هذا النحو قد يسمى كاذبا وإن كان قوله مطابقا للمقول المخبر عنه.

وقيل: الخرص: الكذب كما في قوله-تبارك وتعالى- وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ أي يكذبون .

وأصل الخرص: القول بالظن.

يقال: خرصت النخل خرصا- من باب قتل- حزرت ثمره وقدرته بالظن والتخمين، واستعمل في الكذب لما يداخله من الظنون الكاذبة، فيقال: خرص في قوله- كنصر- أي كذب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ فِي التَّفْسِيرِ: لُعِنَ الْكَذَّابُونَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ قُتِلَ الْمُرْتَابُونَ، يَعْنِي الْكَهَنَةَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَسْنَا نُبْعَثُ. وَمَعْنَى (قُتِلَ) أَيْ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ يَجِبُ أَنْ يُدْعَى عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ عَلَى أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: مَعْنَى

(قُتِلَ) لُعِنَ، قَالَ: وَ (الْخَرَّاصُونَ) الْكَذَّابُونَ الَّذِينَ يَتَخَرَّصُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ كَذَّابٌ سَاحِرٌ شَاعِرٌ، وَهَذَا دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمَقْتُولِ الْهَالِكِ ، وفي الكشاف قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ دعاء عليهم، كقوله تعالى قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ وأصله الدعاء بالقتل والهلاك، ثم جرى مجرى: لعن وقبح. والخرّاصون: الكذابون المقدرون ما لا يصح، وهم أصحاب القول المختلف

## أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ

" وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (هود –8)

(أُمَّة ) مفردة قرآنية وردت في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم ، وفي كل موضع كانت تحمل تفسيراً يناسب الآية التي وردت فيها ، فهي في هذه الآية جاءت بمعنى أجل معدود وحين معلوم ؛ فالأمة هنا المدة ؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين .وأصل الأمة الجماعة ؛ فعبر عن الحين والسنين بالأمة لأن الأمة تكون فيها .

﴿إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ أيْ إلى طائِفَةٍ مِنَ الأيّامِ قَلِيلَةٍ، لِأنَّ ما يَحْصُرُهُ العَدُّ قَلِيلٌ، والأُمَّةُ اشْتِقاقُها مِنَ الأمِّ: وهو القَصْدُ، وأرادَ بِها الوَقْتَ المَقْصُودَ لِإيقاعِ العَذابِ، وقِيلَ: هي في الأصْلِ الجَماعَةُ مِنَ النّاسِ، وقَدْ يُسَمّى الحِينُ بِاسْمِ ما يَحْصُلُ فِيهِ

كَقَوْلِكَ كُنْتُ عِنْدَ فُلانٍ صَلاةَ العَصْرِ: أيْ في ذَلِكَ الحِينِ، فالمُرادُ عَلى هَذا إلى حِينِ تَنْقَضِي أُمَّةٌ مَعْدُودَةٌ مِنَ النّاسِ

وقيل : هو على حذف المضاف ، والمعنى إلى مجيء أمة ليس فيها من يؤمن فيستحقون الهلاك .

أو إلى انقراض أمة فيها من يؤمن فلا يبقى بعد انقراضها من يؤمن .

وفي تفسير القرطبي جاء ما ملخصه: والأمة اسم مشترك يقال على ثمانية أوجه : فالأمة تكون الجماعة ؛ كقوله تعالى : وجد عليه أمة من الناس . والأمة أيضا اتباع الأنبياء – عليهم السلام – .

والأمة الرجل الجامع للخير الذي يقتدى به ؛ كقوله تعالى : إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا .

والأمة الدين والملة ؛ كقوله تعالى : إنا وجدنا آباءنا على أمة .

والأمة الحين والزمان ؛ كقوله تعالى : ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة وكذلك قوله تعالى : وادكر بعد أمة والأمة القامة ، وهو طول الإنسان وارتفاعه ؛ يقال من ذلك : فلان حسن الأمة أي القامة .

والأمة الرجل المنفرد بدينه وحده لا يشركه فيه أحد ؛ قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده .

والأمة الأم ؛ يقال : هذه أمة زيد ، يعني أم زيد .

## بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ

" فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ" (يوسف –88)

الآية تتحدث عن مشهد وحادثة من المشاهد والحوادث التي مرّ بها سيدنا يوسف (عليه السلام ) ها هم أخوته يقفون بين يديه يشكون حالهم وما وصلوا إليه من الفقر والحاجة ، ويطلبون منه التصدق عليهم ،﴿مَسَّنا وأهْلَنا الضُّرُّ﴾ أيِ الجُوعُ والحاجَةُ.

والبضاعة: هي القطعة من المال، يقصد بها شراء شيء.

والمزجاة: هي القليلة الرديئة التي ينصرف عنها التجار إهمالا لها.

قالوا: وكانت بضاعتهم دراهم زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة– أي: بأقل قيمة– وقيل غير ذلك.

وأصل الإزجاء: السوق والدفع قليلا قليلا، ومنه قوله–تبارك وتعالى– أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً(النور: ٤٣)... أي: يرسله رويدا رويدا ...

وسميت البضاعة الرديئة القليلة مزجاة، لأنها ترد وتدفع ولا يقبلها التجار إلا بأبخس الأثمان.

والمعنى: وقال إخوة يوسف له بأدب واستعطاف، بعد أن دخلوا عليه للمرة الثالثة «يا أيها العزيز» أي: الملك صاحب الجاه والسلطان والسعة في الرزق، «مسنا وأهلنا الضر» أي: أصابنا وأصاب أهلنا معنا الفقر والجدب والهزل من شدة الجوع.

وَجِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ أي: وجئنا معنا من بلادنا ببضاعة قليلة رديئة يردها وينصرف عنها كل من يراها من التجار، إهمالا لها، واحتقارا لشأنها.

وإنما قالوا له ذلك: استدرارا لعطفه، وتحريكا لمروءته وسخائه، قبل أن يخبروه بمطلبهم الذي حكاه القرآن في قوله :فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا ...

أي: هذا هو حالنا شرحناه لك، وهو يدعو إلى الشفقة والرحمة، ما دام أمرنا كذلك، فأتمم لنا كيلنا ولا تنقص منه شيئا، وتصدق علينا فوق حقنا بما أنت أهل له من كرم ورحمة إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ على غيرهم جزاء كريما حسنا ويبدو أن يوسف- عليه السلام- قد تأثر بما أصابهم من ضر وضيق حال، تأثرا جعله لا يستطيع أن يخفى حقيقته عنهم أكثر من ذلك، فبادرهم بقوله: قالَ: هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ.

## الْمَنَّ وَالسَّلْوَى

"وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (57) البقرة

*" وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى" (الأعراف – 160)

* "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى" ( طه –80)

الآية تتحدث عن بعض النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل وهم في التِّيهِ بَيْنَ مِصْرَ والشّامِ لَمّا امْتَنَعُوا مِن دُخُولِ مَدِينَةِ الجَبّارِينَ.

فالغمام أصبح كالظلة ، يستظلون به ، وعندما طلبوا الطعام والشراب انزل عليهم المن والسلوى .

والمن : اسم جنس لا واحد من لفظه ، وهو – على أرجح الأقوال – مادة صمغية تسقط على الشجر تشبه حلاوته حلاوة العسل .

والسلوى : اسم جنس جمعي ، واحدته سلواة ، وهو طائر بري لذيذ اللحم ، سهل الصيد يسمى بالسماني ، كانت تسوقه لهم ريح الجنوب كل مساء ، فيمسكونه قبضاً بدون تعب . فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير فإن كان سميناً ذبحه وإلا أرسله ، فإذا سمن أتاه.

وقد أخطأ بعض الشعراء عندما ظن أن السلوى عسلاً ؛ قالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: السَّلْوى طَيْرٌ بِإجْماعِ المُفَسِّرِينَ، وقَدْ غَلِطَ الهُذَلِيُّ فَقالَ:

وقاسَمَهُما بِاللَّهِ جَهْدًا لَأَنْتُما □□□ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوى إذا ما أَشُورُها

وقالَ الخَلِيلُ: واحِدُهُ سَلْواةٌ، وأنْشَدَ:

وإنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْراكِ سَلْوَةٌ □□□ كَما انْتَفَضَ السَّلْواةُ مَن سَلَكَهُ القَطْرُ

وقالَ الكِسائِيُّ: السَّلْوى واحِدَةٌ وجَمْعُهُ سَلاوى.

ومعنى الآية الكريمة : واذكروا يا بني إسرائيل من بين نعمي عليكم نعمة إظلالكم بالغمام وأنتم في التيه ليقيكم حر الشمس ، وحرارة الجو ، ولولا منحي إياكم الطعام اللذيذ المشتهي بدون تعب منكم في تحصيله لهلكتم ، وقلنا لكم كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الذي رزقكم هذه النعم ، ولكنكم كفرتم بها ، فظلمتم أنفسكم دون أن ينالنا من ذلك شيء ، وبذلك تكون الآيات الكريمة قد ذكرت بني إسرائيل بنعمة من أعظم النعم وهي تظليلهم بالغمام بإنزال المن والسلوى عليهم ، ولكن بني إسرائيل لم يشكروا الله على نعمه ، ولذا أرسل الله عليهم رجزاً من السماء بسبب ظلمهم وفسقهم .

## وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ

"وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ" (البقرة – 93)

الحديث عن بني إسرائيل وكيف انهم حين غاب عنهم سيدنا موسى عليه السلام ، دخل بينهم السامري ودعاهم لعبادة البقر ﴿وأضَلَّهُمُ السّامِرِيُّ﴾ أيْ دَعاهم إلى الضَّلالَةِ، وكانَ مِن قَوْمٍ يَعْبُدُونَ البَقَرَ، فَدَخَلَ في دِينِ بَنِي إسْرائِيلَ في الظّاهِرِ وفي قَلْبِهِ ما فِيهِ مِن عِبادَةِ البَقَرِ، وكانَ مِن قَبِيلَةٍ تُعْرَفُ بِالسّامِرَةِ، وقالَ لِمَن مَعَهُ مِن بَنِي إسْرائِيلَ: إنَّما تَخَلَّفَ مُوسى عَنِ المِيعادِ الَّذِي بَيْنَكم وبَيْنَهُ لِما صارَ مَعَكم مِنَ الحُلِيِّ، وهي حَرامٌ عَلَيْكم وأمَرَهم بِإلْقائِها في النّارِ، فَكانَ مِن أمْرِ العِجْلِ ما كانَ.

وقوله تعالى: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ عطف على قولهم سمعنا وعصينا والإشراب السقي وجعل الشيء شاربا، واستعمل على وجه التجوز في خلط لون بآخر كأن أحد اللونين

سقى الآخر، يقال: بياض مشرب بحمرة أي مختلط، وفلان أشرب قلبه حب كذا بمعنى خالط حبه قلبه.

قال الإمام الرازي: قوله تعالى: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ في وجه هذه الاستعارة وجهان: الأول: معناه تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب، وقوله في قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله: إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً، الثاني: كما أن الشرب مادة لحياة ما تخرجه الأرض، فكذا تلك المحبة كانت مادة لجميع ما صدر عنهم من الأفعال .

وفي قَوْلِهِ: وأُشْرِبُوا تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ، أيْ جُعِلَتْ قُلُوبُهم لِتَمَكُّنِ حُبِّ العِجْلِ مِنها كَأنَّها تَشْرَبُهُ،

ومِثْلُهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ:

فَصَحَوْتُ عَنْها بَعْدَ حُبِّ داخِلٍ *** والحُبُّ تُشْرِبُهُ فُؤادَكَ داءُ

وفي الجملة الكريمة وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ مضاف محذوف وهو لفظ (حب) لدلالة المعنى عليه.

والمعنى: إن هؤلاء اليهود الذين مردوا على العصيان قد خالط حب العجل نفوسهم حتى استقر في قلوبهم كما يخالط الماء أعماق الجسد.

وحذف لفظ الحب من الجملة الكريمة، يشعر بشدة تعلق قلوبهم بالعجل حتى لكأنهم أشربوا ذاته.

والتعبير بقوله: أُشْرِبُوا يشير إلى أنه بلغ حبهم العجل مبلغ الأمر الذي لا اختيار لهم فيه كأن غيرهم أشربهم إياه.

وقوله تعالى: بِكُفْرِهِمْ دليل على أن محبتهم للعجل ناشئة عن كفر سابق، وجحود متأصل فكفرهم الذي ترتب على عبادتهم للعجل، قد سبقه كفر آخر، فهو كفر على كفر.

## وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ

قال تعالى : "فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ" (39 – آل عمران )

لما رأى زكريا كرامة الله تعالى لمريم سأل مِنَ اللِه الولد ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَآئِكَةُ﴾ ، وقيل: الذي ناداه جبريل وحده وإنما قيل الملائكة: لقولهم: فلان يركب الخيل، أي جنس الخيل وإن كان فرساً واحداً. وبينما هو قائم في محرابه يتعبد لربه ويتضرع نادته الملائكة.

ثم وصف الله–تبارك وتعالى– يحيى– عليه السّلام– بأربع صفات كريمة فقال: مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ.

وَسَيِّداً. وَحَصُوراً. وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ فالصفة الأولى: من صفات يحيى– عليه السّلام– أنه كان مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وللعلماء في تفسير هذه الجملة الكريمة اتجاهان: أما الاتجاه الأول فيرى أصحابه– وهم جمهور العلماء– أن المراد بكلمة الله

هو عيسى- عليه السلام- لأنه كان يسمى بذلك أي أن يحيى كان مصدقا بعيسى ومؤمنا بأنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. وقد كان يحيى معاصرا لعيسى.

وكانت بينهما قرابة قوية إذ أن والدة يحيى كانت أختا لأم مريم وقيل إن أم يحيى كانت أختا لمريم.

وأما الاتجاه الثاني فيرى أصحابه أن المراد بكلمة الله كتابه، أي أن يحيى من صفاته الطيبة أنه كان مصدقا بكتاب الله وبكلامه، وذلك لأن الكلمة قد تطلق ويراد منها الكلام، والعرب تقول أنشد فلان كلمة أي قصيدة، وقال كلمة أي خطبة. - والصفة الثانية: من صفات يحيى عبر عنها القرآن بقوله «وسيدا» والسيد- كما يقول القرطبي- الذي يسود قومه وينتهى إلى قوله. والصفة الثالثة: من صفاته عبر عنها القرآن بقوله: وَحَصُوراً وأصل الحصر: المنع والحبس.

يقال حصرني الشيء وأحصرنى إذا حبسني.

والمراد أن يحيى– عليه السلام– من صفاته أنه سيكون حابسا نفسه عن الشهوات، حتى لقد قيل عنه إنه امتنع عن الزواج وهو قادر على ذلك– زهادة منه واستعفافا، وليس صحيحا ما قيل من أنه كان لا يأتي النساء لعدم قدرته على ذلك.

أما الوصف الرابع وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وفي هذا الوصف بشارة ثانية لزكريا بأن ابنه سيكون من الأنبياء الذي اصطفاهم الله لتبليغ دعوته إلى الناس.

## وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا

رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" ( 286- البقرة )

روى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه .

﴿رَبَّنا ولا تَحْمِلْ عَلَيْنا إصْرًا كَما حَمَلْتَهُ عَلى الَّذِينَ مِن قَبْلِنا﴾ والإصر في اللغة: الثقل والشدة.

مأخوذ من أصر بمعنى حبس، فكأنه يحبس صاحبه في مكانه فيمنعه من الحركة.

والإصْرُ: العِبْءُ الثَّقِيلُ الَّذِي يَأْصِرُ صاحِبَهُ، أيْ يحبسه مكانه لا يستَقلُّ به لثقَله.

والمراد به هنا التَّكليف الشّاقُّ، والأمر الغليظ الصَّعب، وقيل: الإصر شدَّة العمل وما غلُظ على بني إسْرائيل من قتل الأنفس وقَطْع موْضع النَّجاسة، ومنه قَوْل النّابغة:

يا مانع الضَّيْمِ أنْ تَغْشى سَراتَهُمُ والحاملَ الإصْرِ عَنهم بعدما غرقُوا

والإصر في اللغة : العهد ، ومنه قوله تعالى : وأخذتم على ذلكم إصري .

والإصر : الضيق والذنب والثقل .

والإصار : الحبل الذي تربط به الأحمال ونحوها ، يقال : أصر يأصر أصرا حبسه .

والمعنى: أن أولئك يضرعون إلى الله–تبارك وتعالى– ألا يلقى تكاليف وأعباء شديدة، يثقل عليهم حملها ويعجزون عن أدائها، كما كان الحال بالنسبة للذين سبقوهم فقد كلف الله–تبارك وتعالى– بنى إسرائيل بتكاليف شاقة ثقيلة بسبب تعنتهم وفسوقهم عن أمره، ومن ذلك تكليفهم بقتل أنفسهم إذا أرادوا أن يتوبوا توبة

صادقة، وتحريم بعض الطيبات عليهم بسبب ظلمهم قال–تبارك وتعالى–: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ....قال الرازي: والمؤمنون إنما طلبوا هذا التخفيف لأن التشديد مظنة التقصير.

والتقصير موجب للعقوبة، ولا طاقة لهم بعذاب الله–تبارك وتعالى– فلا جرم التمسوا السهولة في التكاليف .

– قوله تعالى : ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قتادة : معناه لا تشدد علينا كما شددت على من كان قبلنا .

## مُبْلِسُونَ

"فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ "( الأنعام – 44)

وردت مفردة مُبْلِسُونَ في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم ، في سورة (المؤمنون ) "حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ" (77)وفي سورة (الزخرف ) "لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ "(75) وفي سورة (الروم )"بلفظ مبلسين "وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ " (49)

والمبلس الباهت الحزين الآيس من الخير الذي لا يحير جوابا لشدة ما نزل به من سوء الحال، أي : تحير لهول ما رأى ، ومن ذلك اشتق اسم إبليس ؛ أبلس الرجل سكت ، وأصل الإبلاس : الإطراق من الحزن والندم.

قال العجاج :

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا  قال نعم أعرفه وأبلسا

أي : تحير لهول ما رأى فتأويل قوله :"وأبلسا"، عند الذين زعموا أن "الإبلاس"، انقطاع الحجة والسكوت عنده، بمعنى: أنه لم يُحِرْ جوابًا. وتأوَّله الآخرون بمعنى الخشوع، وترك أهله إياه مقيمًا بمكانه.

والآخرون بمعنى الحزن والندم. يقال منه: "أبلس الرجل إبلاسًا"، ومنه قيل: لإبليس "إبليس"

والمعنى فإذا هم محزونون متحيرون آيسون من الفرح، قال ابن زيد: المبلس المجهود الكروب الذي قد نزل به الشر الذي لا يدفعه، والمبلس أشد من المستكين وقال الفراء: هو اليائس المنقطع رجاؤه، وقال أبو عبيدة: هو النادم الحزين، والإبلاس هو الإطراق من الحزن والندم.

فلما تركوا ما وُعِظُوا به من شدة الفقر والمرض، ولم يعملوا بأوامر الله، استدرجناهم بفتح أبواب الرزق عليهم، وإغنائهم بعد الفقر، وصَحَّحْنا أجسامهم بعد المرض، حتى إذا أصابهم البَطَرُ،

واستولى عليهم الإعجاب بما مُتِّعُوا به جاءهم عذابنا فجأة، فإذا هم متحيرون يائسون مما يأملون.

وجود النعم والأموال بأيدي أهل الضلال لا يدل على محبة الله لهم، وإنما هو استدراج وابتلاء لهم ولغيرهم.

## الطَّاغُوتِ

فَمَنْ يَكْفُرْ **بِالطَّاغُوتِ** وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (256) البقرة

الطَّاغُوتِ من المفردات القرآنية التي تكرر ظهورها في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم ، وفي أكثر من موضع أحياناً في السورة الواحدة فقد وردت مفردة الطاغوت في القرآن الكريم ثماني مرات : في سورة البقرة الآيتان : 256 ، 257 ، وفي سورة النساء : الآيات : 51 ، 60 ، 76 ، وفي سورة المائدة : الآية : 60 ، وفي سورة النحل : الآية : 36، وفي سورة الزمر : الآية 17 .

قال الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن : الطاغوت عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله ، ويستعمل في الواحد والجمع ، ولما تقدم سمى الساحر والكاهن والمارد والجن والصارف عن طريق الخير طاغوتا .

ولو تتبعنا تفسير الآيات المشار إليها في مواضعها ما رأيناها تخرج عن ذلك ، جاء في تفسير الجلالين في الآية الأولى{فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله } والثانية {والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت } أن الطاغوت هو الأصنام أو الشيطان ، وفي الآية الثالثة {يؤمنون بالجبت والطاغوت } أن الجبت والطاغوت صنمان لقريش . وفي الآية الرابعة {يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت } أنه كثير الطغيان وهو كعب بن الأشرف.

وفى الخامسة {يقاتلون في سبيل الطاغوت } أنه الشيطان ، وفي السادسة {وعبد الطاغوت } أنه الشيطان ، وفي السابعة {واجتنبوا الطاغوت } أنه الأوثان ، وفي الثامنة { والذين اجتنبوا الطاغوت } أنه الأوثان أيضا .

ويظهر معنى الطاغوت فيما يعبد من دون الله من أصنام ومخلوقات أخرى إذا ذكر معه الإيمان وعبادة الله والكفر بالطاغوت .

وهو يطلق على الباطل مطلقا ممن يعقل وما لا يعقل ، فإذا عبد من دون الله أو مع الله فذلك كفر أو شرك ، وإذا فتن به دون عبادة له كان عصيانا وفسوقا ، كالذي يفتنه الشيطان أو السلطان أو المال أو الذهب أو المرأة أو غير ذلك ، فتنة تلهيه عن الواجب وتغريه بالسوء ، وقد يطلق عليه أنه يعبده أي يحبه حبا شديدا ويطيعه طاعة العبد لسيده ، ومنه حديث "تعس عبد الدينار والدرهم " رواه البخاري

المحتوى

وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ .....7

الْوَسِيلَةَ.....10

إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا.....13

حُوبًا كَبِيرًا .....15

الْوَسِيلَةَ.....18

السُّحت.....21

نَزَغَ /يَنْزَغَنَّكَ.....24

مُكَاءً وَتَصْدِيَةً.....26

لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً.....29

وَلِيجَةً.....32

النَّسِيءُ.....35

السَّائِحُونَ.....38

ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ.....41

فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ.....44

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ.....47

قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ.....50

أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ.....53

بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ.....56

الْمَنَّ وَالسَّلْوَى.....59

وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ.....62

وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ.....65

وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا.....68

مُبْلِسُونَ.....71

الطَّاغُوتِ.....74

"دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (10 - يونس)